## رسالة "ذي قربتي" إلى الأستاذ فتح الله كولن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الصلاةُ والسلام على "**شجرة الوجود، والعلَّةِ الغائية لكتاب الكائنات، وأقوى صوت للدعوة إلى الحقِّ سبحانه**".

التحيةُ والإكرام لسيِّدي وحبيبي، ونور قلبي، "**صرحِ الإيمان والحركية**"، محمدٍ بن عبد الله ﷺ، في ذكرى مولده... صلَّت عليه الخلائق شوقًا، وتشوَّفت إلى جماله القلوب عِشقًا.

وبعدُ، فلقد حملتُ منذ أمدٍ سؤالاً صغيرًا كبيرًا، أحسب أنَّ المسلمين في كلِّ العصور حين يسقطون في امتحان التمكين والاستخلاف، إنما يُخفقون في الإجابة على هذا السؤال الخطير الجدير، وهو: **كيف نحوِّل الفكر إلى فعل، وكيف نصل العلمَ بالعمل؟!**

ولقد سافرتُ به، وسافرت معه، فقطعت مسافات زمنية مديدية، وعبرت مساحات مكانية عديدة... بحثًا، وحفرًا، وتنقيبًا... وكلِّي يقينٌ أنَّ حقيقة القرآن وحقيقة الإيمان، ثم على إثرهما الحقيقةُ الأحمدية والحقيقةُ الراشدية... إنما تدعو إلى "**القرَان بين الإيمان والحركية قِرانًا لازمًا متوازنًا، فريدًا من نوعه**"، وذلك ما لم يحقِّقه على إطلاقه "**إلاَّ حضرةُ النبيِّ محمد عليه أكمل التحايا**" (ونحن نبني حضارتنا).

ولقد قلت في نفسي، ولنفسي، يومها: "لو ألفيتُ مفكّرًا، أو مجدِّدًا، أو مشروعًا، أو حركة... استطاع أن يصل ما أمر الله به أن يوصل، فلم يقطِّع أرحام الإيمان والفكر والحركية، ولم يبدِّد -في تصوراته وتصرفاته- جمالَ "شمولية" النور السرمديّ وجلاله... ولم يظلم كماله البديعَ، واكتمالَه"... قلتُ: "لو اهتديتُ إلى ذلكم المرتقى الراقي، وإلى ذلكم الركن الركين، فسأعقِد النية -بجول الله- أن أتّخذه إمامًا، وأسوةً، وقدوةً... ولا أبالي".

ولقد كتبتُ يومها عهدًا بيني وبين خالقي ومُرشدي ومدبِّر أمري، سبحانه... فعقدتُ العزم، وشمرت عن ساعد الجدِّ، حسبَ طاقتي وعجزي وقلَّة حيلتي... ثم انطلقت...

إلى أن فتح الله تعالى عليَّ بـ"فتح الله"، فانكببتُ على ما تُرجم من مقالاته وكتبه، ألتهمها التهامًا، وأهتبِل الفرصةَ في العبِّ من معينها اهتبالاً؛ ويشاء المولى الكريم -بعد ذلك- أن أزورَ بعضًا من آثار ذلكم الميراث الزكيّ، وألتقي بشباب "الخدمة" الذكيّ، وهم شموس في سماء الأفق الرحيب، وهم ثمرةٌ لشجرة الملَّة المحمَّدية المعطاء: دماثةَ خلقٍ، وسعة أفقٍ، وصفاء طويةٍ، وحضور بديهة، وعلو همَّة...

هنا، ومن هنا، وهكذا، وبهذا، ولهذا، وفي هذا، وعند هذا... اكتشفتُ ما أحسب أنه أعظم من اكتشاف "كريستوف كولومب" لأمركيا الجديدة.. اكتشفتُ "**البراديم كولن**"، أي "**الجوابَ على سؤال الانفصام بين الفكر والفعل في واقع الأمَّة اليومَ**".. ولم يكن الجواب "نظريًّا تنظيريًّا"، وما ينبغي له أن يكون... كذلك لم يكن "عمليًّا صرفًا، وميدانيًّا خالصًا"، ولا يليق به أن يكون... وإنما كان خيطًا من ذهب، يصِل الفكر بالفعل، ويربط العلم بالعمل... فالتقى السالب الإيماني -الخلقي بالموجِب الجهادي-

الحركي، فسطع على الكون ضوءُ الإيمان، وغمر الوجودَ ضياء القرآن...

**أستاذي**، معذرةً، لقد جاوزت حدّي، فأطلت في شرح همّي، وأضعت من "**شريحتكم الذهبية**" وقتًا غاليًا عزيزًا، في مثله تزيدون البشرية رواءًا وسقيًا؛ لكن حسبي أن أقطع رسالتي، بأن أقول لكم: "**أحبكم في الله، ولله، ومن الله، وعلى الله، وبالله**"... ثم إني أعتقد فيكم "**الإمامَة**"، لي ولكلِّ باحث عن الحقِّ في أمَّة المصطفى ﷺ، وملَّة المجتبى... دع عنك الفروقَ الوهمية التي لا نملك اختيارًا فيها: من جغرافيةٍ، وعرقيةٍ، واعتباريةٍ، بل وحتى مذهبية... حين يتحوَّل المذهب -خطأً وانحرافًا وسقمًا في الفهوم- إلى جزيرةٍ نائية، وسجنٍ مميت...

**معلِّمي**، لم أجلس يومًا إليكم، وإنما جلست طويلاً إلى فكركم وتلامذتكم، وتأمَّلت عميقا -ولا أزال- آثارَكم وإنجازاتكم... ومن سوء حظِّي، وإن كنتُ أرضى بالقدر، أن لا أنال هذه الحظوة؛ ولذا تجدني أغبط مَن كان سببًا وواسطة بيني وبينكم، وأعلِّل النفس أني تابعيٌّ لأصحابٍ، أعني بهم أساتذة أفذاذًا، وهبوا نفوسهم للحق، ثم رابطوا مؤمنين موقنين على حصون نفع الخلق.

**إمامي ومعلِّمي**، كلَّما فكَّرت في حال أمَّتي "**العربية بالخصوص**"، وجدتُ أنها عطشى إلى "**الخدمة**"، جوعى إلى "**فكر فتح الله**"، مؤمِّلة النجاة -بحول الله- في مرشد ودليلٍ خرِّيت، هو شخصكم الكريم.. ولقد -واللهِ- حُظيتم "**بالخرِّيتية**" التي تفتقدُها أوطاننا وبلادنا في كثيرٍ من روَّادها وقوادها... اليومَ.

هي صفة وسمة فيكم تمثَّلت؛ ولذا فكلُّنا أملٌ ورجاء، وطلبٌ وإلحاح... أن توجِّهوا جيشًا من الطلبة والباحثين لترجمة جميعِ مؤلَّفاتكم

وأعمالكم، القلمية والصوتية، إلى اللغة العربية، لغةِ القرآن، ولسان سيد الأنام... إذ كلُّ حرفٍ وكلمة، وكلُّ جملة ومقالة، وكلُّ فكر وفكرة... هو غيثٌ هامر، ونهرٌ هادر، يسقي أراضينا القحلة المحلة، ويشفي قلوبنا المَشوفة المَشوقة...

مرَّة أخرى، أستحيي، وأنا العييُّ، في مخاطبتكم، وحسبي أن أقول، وقد جاءكم أهلُ "**الخدمة**" بدلائهم، بل وأنهُرهم وودیانهم وبحورهم، وجئتكم أنا بقربةٍ، لعلَّها جفَّت منذ أمد... جئتكم باحثًا عن الحقيقةِ، عاشقًا مصادرَها وموارِدَها... لأنشِد مع المنشد، مخاطبًا أحبّتي في الأكاديميا، وقد قبلوني بأمرٍ منكم وفضل، تلميذًا في صفِّهم، وطالبًا مبتدئًا في صرحهم... أهمس في أذن كلِّ واحد منهم صادحًا مغرِّدًا:

ذي قربتي يا أخي في الحبِّ أرسِلُها إلى الحبيب، فهل يُرضيه متَّسمي؟

أرجو أن تصلك تحيتي، **يا حبيب**... وآمل أن يصلك معها سلامي، **يا طبيب**... مِن ابنك، ومحبِّك، والحامدِ اللهَ أن هداه إلى اكتشاف رحابك وسفوح ربيعك، والمردِّد مع أرباب المعنى مقولتهم البديعة: "**أجل! السلطنة تليق بالسلاطين، والتسوُّل يليق بالمتسوِّلين**".

والسلام...

**محمد باباعمي**

صبيحة السبت، ١٢ ربيع الأول،

١٤٣٣هـ، - ٠٤ فبراير، ٢٠١٢م